

## التَّوْبَةُ: مِفْتَاحُ أَبْوَابِ الرَّحْمَةِ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

## أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ الْكِرَامُ!

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَأْمُرُنَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِأَنْ نَتُوبَ إِلَيْهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا. وَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ، هِيَ الَّتِي تَكُونُ بِالْقَلْبِ وَبِسَائِرِ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ، وَيَعْزَمُ فِيهَا التَّائِبُ عَلَىٰ أَلَّا يَعُودَ إِلَى الدُّنْبِ أَبَدًا.

وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). فَعَلَىٰ مَنْ تَابَ مِنَ الْكُفْرِ أَوْ الشِّرْكِ أَوْ مِنَ الْمَعَاصِي فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، أَلَّا يَقْنَطَ مِنْ عَفْوِ اللَّهِ وَمَغْفِرَتِهِ. فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَنْ آتَاهُ تَائِبًا مِنْ كُفْرِهِ، غَفَرَ لَهُ كُفْرَهُ وَشِرْكَهُ وَسَائِرَ ذُنُوبِهِ وَمَعَاصِيهِ، يَكْفِي لِكُلِّ ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيَهُ الْعَبْدُ تَائِبًا. وَلَا يَعْني هَذَا: أَنْ "اصْنَعْ مَا شِئْتَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مَحَالَةَ غَافِرٌ لَكَ ذَنْبِكَ وَتَائِبٌ عَلَيْكَ"، كَلَّا! لَيْسَ هَذَا مَعْنَىٰ كَوْنِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَفْوًا غَفُورًا وَتَوَّابًا رَحِيمًا. بَلْ بِالْعَكْسِ، مَعْنَىٰ ذَلِكَ: أَنَّكَ "إِنْ سَبَقَ لَكَ أَنْ عَصَيْتَ اللَّهَ تَعَالَىٰ، فَبَادِرْ إِلَى التَّوْبَةِ، لِيَغْفِرَ اللَّهُ لَكَ ذُنُوبَكَ جَمِيعًا، تَبَّ وَلَا تَقْنَطْ مِنْ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هَذَا مَعْنَىٰ كَوْنِ اللَّهِ غَفُورًا رَحِيمًا.

## إِخْوَتِي الْكِرَامُ!

فَكَيْفَ نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا؟ يُرْشِدُنَا إِلَى ذَلِكَ مُرْشِدُنَا إِلَى كُلِّ مَا عَلِمْنَاهُ مِنْ خَيْرٍ، رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ حِينَ سَأَلَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا التَّوْبَةُ النَّصُوحُ؟ فَاجَابَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِلًا: (أَنْ يَنْدِمَ الْمُذْنِبُ عَلَى الذَّنْبِ الَّذِي أَصَابَ، فَيَعْتَدِرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ، ثُمَّ لَا يَعُودُ فِيهَا).

يَقُولُ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ: (عَلَامَةُ التَّوْبَةِ النَّصُوحُ أَرْبَعَةٌ أَشْيَاءُ: قَلَّةُ الدُّنْيَا، وَذَلَّةُ النَّفْسِ، وَكَثْرَةُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِالطَّاعَاتِ، وَرُؤْيَةُ الْقَلَّةِ وَالنَّقْصِ فِي ذَلِكَ)

فَإِذَا تَكُونُ الْخُطُوبَةُ الْأُولَى فِي التَّوْبَةِ النَّصُوحِ، بِإِدْرَاكِ الذَّنْبِ الَّذِي وَقَعَ مِنَّا، وَالْاعْتِرَافَ بِهِ لِأَنْفُسِنَا، ثُمَّ بِالْعَزْمِ عَلَى عَدَمِ الْعُودِ إِلَيْهِ أَبَدًا. وَمِنْ أَمْزَجِ مَوْشِرَاتِ هَذَا الْعَزْمِ: الْفِيَامُ بِوِاجِبَاتِنَا تَجَاهَ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَادَاءُ الْعِبَادَاتِ لَهُ.

## إِخْوَتِي الْكِرَامُ!

إِنَّ الذُّنُوبَ الَّتِي اقْتَرَفْنَاهَا بِأَبْدَانِنَا تَكُونُ التَّوْبَةُ مِنْهَا كَذَلِكَ بِأَبْدَانِنَا. وَمَا نَحْطِي فِيهِ بِقُلُوبِنَا كَالرِّيَاءِ وَالْكِبْرِ وَالْحَسَدِ وَالْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا وَالْبُخْلِ وَالْجَسَعِ، نُصَلِّحُهُ وَنُصَحِّحُهُ كَذَلِكَ بِقُلُوبِنَا. فَإِنَّ مَنْ تَابَ مِنْ ذُنُوبِ أَعْضَائِهِ الظَّاهِرَةِ، وَلَمْ يَتَّبِعْ مِنْ ذُنُوبِ قَلْبِهِ الْبَاطِنَةِ، مَثَلُهُ كَمَثَلِ وَعَاءٍ ظَاهِرُهُ مُزِينٌ، وَمَا بِدَاخِلِهِ نَتْنٌ خَبِيثٌ. وَكَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَىٰ مَنْ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْهِ نَجَاسَةٌ، فَكَذَلِكَ مَنْ كَانَتْ النِّجَاسَةُ فِي قَلْبِهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ مَا لَمْ يَتَّبِعْ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: (وَذَرُوا ظَاهِرَ الْأَيْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْأَيْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ).

## إِخْوَتِي الْكِرَامُ!

إِنَّ تَوْبَةَ كُلِّ ذَنْبٍ تَكُونُ مِنْ جِنْسِ ذَلِكَ الذَّنْبِ. فَتَوْبَةُ الرِّكَاعَةِ تَكُونُ بِإِخْرَاجِ مَا مَنَعَهُ، وَتَوْبَةُ الصَّوْمِ تَكُونُ بِإِمْسَاكِ مَا لَمْ يَصُمْهُ، وَتَوْبَةُ الدِّينِ تَكُونُ بِأَدَائِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ كَسَرَ قَلْبَ أَحَدٍ اسْتَسَمَحَهُ، وَإِنْ افْتَرَى عَلَى أَحَدٍ رَجَعَ عَنْ إِفْتِرَائِهِ وَاعْتَرَفَ وَبَيَّنَّ الْحَقِيقَةَ. فَعَلَيْنَا إِذْنٌ أَنْ نَقْتَدِيَ بِإِمَامِنَا فِي التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، أَلَّا وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي كَانَ يَسْتَغْفِرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً أَوْ أَكْثَرَ. وَعَلَيْنَا أَنْ نُسْرِعَ إِلَى الْاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ دُونَ انْتِظَارِ مَتَى وَقَعَ مِنَّا الذَّنْبُ، وَأَنْ نَسْتَفْرِغَ مَا بُوْسَعْنَا لِيَلَّا نَفْعَ فِي نَفْسِ الْأَخْطَاءِ مَرَّةً أُخْرَى.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْنَا جَمِيعًا تَوْبَةً نَّصُوحًا وَأَنْ يُشَبِّتَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا عَلَى تَوْبَتِهِ!